4 المفاهيم النفسية الأساسية في القرآن الكريم وخطورة الاصطلاح

حسن الشرقاوي

- أبحاث ندوة علم النفس، القاهرة، 1989، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ/1993م، ص53–64 [12 صفحة من القطع المتوسط].
- لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية
- مجال البحث: التأصيل الإسلامي، المفاهيم النفسية في القرآن الكريم.

❑ ❑ ❑

يبدأ الباحث بنقد المستغربين المعتقدين بأن التقدم في مجالات العلوم إنما يكمن في تطبيق النظريات الغربية بما فيها العلوم الحياتية والسلوكية، ويعيب عليهم عدم انتباههم إلى أن التقدم في العلوم المسخّرة شيء وأن المنهج في العلوم الحياتية: كالأخلاق والتربية وعلم النفس، شيء آخر.

ومن هنا يبين الباحث بأن مسألة المفاهيم النفسية لا يمكن إخضاعها للمنهج الغربي لأنه يوقعها في الاجتهاد الذاتي والتأويلات الفردية النابعة من الهوى والظن. وبهذا فإن المفاهيم النفسية الأساس لا تتضح إلا من خلال المنظور القرآني.

ثم يدخل الباحث في (علم النفس الإسلامي) ويميزه تماماً عن (علم النفس الغربي) لأنه – أي الإسلامي – يستقي هديه أو منهجه من كتاب الله وهدي النبوة وليس من شطحات الفكر الذاتي.

* ثم يعرج الباحث إلى عنوان بحثه وهو المفاهيم النفسية والاصطلاح ويحمل كثيراً جداً على منكري أهمية الاصطلاح وشيوع القول «لا مشاحة في الاصطلاح» الذي يرفضه بالقطع، لأن الباحث يعتبر الاصطلاح المرحلة الأخيرة لإستقرار دلالة معينة في الأذهان التي ترتبط بدورها بالكثير من المفاهيم المتداخلة معه، فمتى ما انطوى الاصطلاح على خلل انتقل هذا الخلل إلى بقية المفاهيم.

* ثم يبدأ الباحث بعرض بعض الاصطلاحات الخاصة بعلم النفس الإسلامي مقارناً كل واحد منها بالمصطلح الغربي لتبيان الفرق بين النمطين:

1. (الزاجر)، ويستخدمه كمصطلح بديل (للضمير) لأن الضمير مأخوذ من

كلمة Conscience الذي لا أصل له في الشريعة الإسلامية. وهو -أي الضمير- مصطلح غامض سبَّب الوقوع في الكثير من أخطاء البحث في العلوم النفسية والتربوية.

ولو كان الضمير - كما يوضحه المصطلح الغربي - كافياً ليعلِّم الإنسان طريقه الصحيح فإن هذا ينفي ضرورة بعث الأنبياء كمبشرين ومنذرين.

ومن هنا يطالب الباحث باستبدال مصطلح الضمير بالزاجر مستمداً إياه من آيات القرآن الكريم: (والزاجرات زجراً) (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر)، فالزاجر واعظ في القلب يهتف به للسير في طريق الإستفادة ويرشده لسلوك السبيل الحق وينجو به من الأهواء والمعاصي.

2. «كظم الغيظ» بدلاً من «الكبت» الذي يستخدم في علم النفس عامة ومدرسة التحليل النفسي خاصة، التي ترى أن الشخصية الإنسانية عبارة عن تفاعل متبادل بين حاجات الفرد الداخلية (الغرائز) والعالم الخارجي (الموضوعات) ليتم خلال التفاعل اختزان الفرد للعديد من الخبرات عن طريق الكبت فيودعها في اللاشعور.

ويريد الباحث استبدال مصطلح (الكبت) بمصطلح (الصبر) أو (كظم الغيظ)، فالإنسان قادر على الصبر وكظم الغيظ بالعزم ومخالفة النفس واتباع العقل والوسط العدل رغم قدرته على الغضب والثورة والأذى. لكنه - أي الإنسان - في موقف اختيار عن وعي وإدراك لثمرة هذا الإختيار، وليس ناشئاً - أي العقل - عن الحتمية النفسية التي يراها علم النفس الغربي.

إضافة إلى أن الصبر موقف إيجابي والكبت موقف سلبي، إذ أن الصابر غير مغلوب على أمره ولكنه يسمو على الأحداث ويرضى بالقضاء ويدرك حقيقة الإبتلاء.

3. «الفطرة» بدلاً من «الحتمية»، حيث انتقل مصطلح الحتمية للعلوم الإنسانية من علوم الميكانيكا كما يذكر الباحث. وفي علم النفس الغربي يخضع السلوك الإنساني لقانون الحتمية الذي يحدد السلوك وفقاً للتكوين الطفولي في السنوات الخمس الأولى لحياة الإنسان.

ويقترح الباحث استبداله بمصطلح (الفطرة) لأنه أشمل من مصطلح (الحتمية) أولاً، وأصلح للتطبيق ثانياً، وأطوع في التعرف على الحقائق ثالثاً. فالفطرة لا تلتزم بقواعد الحتمية التعسفية التي تجبر الإنسان على سلوك معين بل تدفعه للإلتجاء إلى الله والسير على سراطه المستقيم.

4. «الدفع» بدلاً من «الصراع» الذي يُستخدم في علم النفس الغربي للتعبير عن فقدان الشخص للثقة في قدرته على رفع التناقضات بين القصور المؤلم وبين النفس، فينشأ الصراع في محاولة لإستبعاد القصور المؤلم.

ويرى الباحث أنه لا يوجد (صراع) بالمعنى العلمي داخل النفس، إنما هناك (الدفع) الذي هو موقف اختياري للإنسان، إذ أن هناك دفعاً ودفعاً يقابله (إدفع بالتي هي أحسن)، فمصطلح الدفع فيه من المرونة لتسمح للفرد بالإنسحاب إلى النفس بحيث لا يحمل معنى التناقض الموجود في مصطلح الصراع.

5. «الرؤيا» بدلاً من «أضغاث أحلام» حيث ترى مدرسة التحليل النفسي أن (الحلم) نوع من المكبوتات تظهر كرغبة لم تشبع بعد وكنوع من الإرضاء الخيالي للرائي. كما يراه (يونج) أنه تعويض عن الحياة اللاشعورية في مقابل الحياة الشعورية التي يحياها الإنسان.

ويرى الباحث أن الحلم وهم شيطاني (مرتكزاً إلى حديث نبوي ذكره: الحلم من الشيطان)، إلا أن المصطلح الإسلامي البديل يجب أن يكون (الرؤيا) التي هي غير (الحلم) حيث يخلط بينهما علم النفس الحديث. فهناك (الرؤيا) وهناك (أضغاث أحلام) ويستشهد الباحث بالشيخ عبدالغني النابلسي الذي يقسِّم الرؤى إلى ثلاثة أنواع: البشرى، رؤيا التحذير، رؤيا أماني النفس.

* ثم يستعرض الباحث في خاتمة ورقته محاولاته المستمرة لأسلمة المصطلحات النفسية حيث يذكر منها كأمثلة:

- «الإستقامة» بدلاً من «الموضوعية»،
- «الهدى» في مقابل «الخُلُق»،
- «الحكماء» بدلاً من «الفلاسفة»،

- «العبودية لله» بدلاً من «الحرية»،
- «التفكر» بدلاً من «الفكر»،
- «التسخير» بدلاً من «التنبؤ أو التحكم»،
- «البصيرة» بدلاً من «الحدس».

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

المفاهيم النفسية، المفاهيم النفسية في القرآن الكريم، أسلمة المصطلحات النفسية.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- لا شك أن محاولة الباحث جريئة وجيدة جداً وفيها عمق وفهم لمعنى المصطلح أو المصطلحات التي جاءت عليها الورقة، وهو اتجاه يجب أن يعمّق أكثر ويطبق بصورة أشمل وأعم بعد سلسلة من المحاورات بين المسلمين المختصين في علم النفس للوصول إلى اتفاق أو أرضية متفق عليها لإستبدال المصطلحات النفسية المستخدمة في علم النفس المعاصر.
- لقد كانت معظم الطروحات النفسية التي استند إليها الباحث مأخوذة من مدرسة واحدة تقريباً من مدارس علم النفس وهي مدرسة التحليل النفسي، أو نستطيع أن نقول أنها كانت (لفرويد) بذاته بالدرجة الأولى، وخاصة في مصطلحات الضمير، الحتمية، الكبت.
- ومدارس علم النفس ومنظوراته متعددة متنوعة بل ومتناقضة أحياناً كما هو معلوم عند المختصين فيه، والحتمية التي تراها مدرسة تناقضها مدرسة نفسية أخرى، والكبت الذي يتسرب إلى اللاشعور في مدرسة ترفضه - أي ترفض اللاشعور كله - مدرسة أخرى... وهكذا.

لذا كان من الأفضل - برأيي - أن تعطى هذه المصطلحات حقها في جميع

مدارس علم النفس وتبيان الفروق بينها، لكي لا يعطى الإنطباع بأن المصطلح الذي جاء عليه الباحث محدود فقط بالرأي النفسي الغربي كما ذكره الباحث. بينما في حقيقته لا يمثِّل إلا مدرسة نفسية واحدة أو بعض مدارس علم النفس دون غيرها في أحسن الأحوال.

❑ ❑ ❑

obeikandl.com